بقلم

رئيس التحرير

الذكاء الاصطناعي والذكاء الأصلي في إطار معايير اللّٰه ومسؤولية الإنسان

د.ق. أندريه زكي

رئيسُ الطائفةِ الإنجيليَّةِ بمِصْر

رئيسُ الهيئةِ القبطيَّةِ الإنجيليَّةِ للخدماتِ الاجتماعيَّةِ

"مع كل تطور جديد تشهده البشرية، خصوصًا في مجال التكنولوجيا، يعيد الإنسان طرح عدد مهم من الأسئلة، حول فائدة هذا التطور، أو ربما أضراره، أو تأثيراته الأخلاقية والسلوكية على البشر. وصحيح أن التطورات التكنولوجية تهدف بالأساس إلى جعل حياة الإنسان أسهل، لكنها أيضًا تثير بعض المخاوف حول توجُّه البعض لإساءة استخدامها في إيذاء الآخرين. وكنتيجة لهذا يتجه الإنسان لوضع ميثاق أخلاقي ينظم هذا الاستخدام، ليكون بمثابة عقد اجتماعي ينظم العلاقات في إطار هذا التطور الجديد."

هذا الوصف ربما ينطبق على كل ما استطاعت البشرية تحقيقه عبر تاريخها الطويل، حتى منذ اكتشاف النار، وصناعة الأدوات الحادة لتساعد الإنسان على البناء والتشييد والتطوير... فلكل تطور من هذه التطورات دائمًا وجه آخر، يثير القلق، إذا ما أسيء استخدامه.

وربما خلال الأعوام الماضية أثيرت قضية الذكاء الاصطناعي؛ وشهدنا فريقين في موقفهما من استخدامه؛ فالبعض بالغ في فوائده ومنافعه، والبعض الآخر تملكه خوف غير مبرر من تأثيره على الناس، والاستغناء عن الوظائف، وكذلك إساءة استخدامه من قبل البعض للإيذاء.

ويجدر بنا في البداية أن نعرِّف مصطلح "الذكاء الاصطناعي"، وقد لجأت هنا للذكاء الاصطناعي نفسه ليعرفنا بنفسه، من خلال موقع Chat GPT والذي يساعد في كتابة المحتوى وترجمته ومراجعته وصياغته؛ فيقول: "الذكاء الاصطناعي (AI) هو مجالٌ من مجالات علوم الحاسوب الذي يهتم بتطوير الأنظمة والتطبيقات التي تحاكي القدرات الذهنية للبشر، مثل التعلم، التفكير، حل المشكلات، واتخاذ القرارات. يعتمد الذكاء الاصطناعي على الخوارزميات والتقنيات المتقدمة مثل التعلم الآلي (Machine Learning) والشبكات العصبية (Neural Networks) لتحليل البيانات واكتساب معرفة جديدة وتطوير استراتيجيات من أجل أداء مهام معينة دون تدخل بشري كبير".

إذن نحن أمام عمليَّة محاكاةٍ لذكاء "أصلي"، صورة من نسخة "أصلية"، مصنوعة بيد مبدعٍ آخر، أنشأ وخلق من العدم؛ وهو الله. فالذكاء الإنساني هو الذي تمكن في كل مراحل تاريخ البشرية من تطوير كل شيء حوله مستخدمًا كل ما يجده أمامه من عناصر لكي يجعل حياته أسهل. لهذا عندما نتحدث عن "ذكاء اصطناعي"، يجب أولًا أن نشكر صانع "الذكاء الأصلي" وخالقه ومبدعه. نحن صورة الله، والله خالق ومبدع، والإبداع داخل الإنسان لمحة من إبداع الله غير المحدود.

ومنذ انطلاقة هذا المجال، تطورت تكنولوجيا الذكاء الاصطناعي بسرعةٍ كبيرةٍ، مما أدى إلى تطبيقاتها في مجالات متنوعة مثل الطب،

الاقتصاد، الصناعات، والتعليم... الأنظمة الذكية قادرة اليوم على تحليل كمّ هائل من البيانات بدقةٍ وسرعةٍ، ما يجعلها أداة حيوية في تحقيق تقدم غير مسبوق في العديد من الصناعات. وبطبيعة الحال، سيكون للذكاء الاصطناعي تأثير عميق على حياتنا اليومية في المستقبل القريب. بالفعل، نحن نرى اليوم كيف يتغلغل الذكاء الاصطناعي في حياتنا من خلال أجهزة الهواتف الذكية، السيارات ذاتية القيادة، والمساعدات الصوتية مثل "سيري" و"أليكسا"، والتطبيقات المختلفة لإنشاء الصور وكتابة النصوص والترجمة والتسجيلات الصوتية... هذه الأدوات الذكية قادرة على تحسين كفاءة العمل وتقليل الوقت المُستغرق في إنجاز المهام الروتينية، مما يمنح الأشخاص مزيدًا من الوقت للتركيز على الأمور الإبداعية والإنسانية.

أعود مرةً أخرى إلى المخاوف من الأخطار المحتملة؛ وأحد المخاوف الرئيسة هو إمكانية فقدان البعض لوظائفهم. نظرًا لأن الذكاء الاصطناعي يمكن أن يحل محل البشر في العديد من الأعمال الروتينية، وقد تؤدي هذه التكنولوجيا إلى زيادة البطالة في بعض الصناعات، مما قد يؤدي إلى تفاقم الفجوة الاقتصادية بين الأفراد. لكن أمام هذه المخاوف، فقد رأينا في مجالاتٍ عدة أن التكنولوجيا لم تلغِ دور الإنسان؛ ففي مجال الموسيقى مثلًا تمكنت التكنولوجيا من تخليق أصوات الآلات الموسيقية المختلفة دون الحاجة إلى الآلة الموسيقية نفسها والعازف، فصار بإمكان شخص واحد أن يصنع عملًا موسيقيًّا كاملًا بجهاز إلكتروني واحد. لكن الخبرة التاريخية تقول إن الآلة الموسيقية والعازف البشري المبدع، لا يزال حضوره أساسيًّا. وأنا أرى الأمر بهذه الطريقة؛ فربما يستطيع الذكاء الاصطناعي كتابة النصوص وترجمتها، لكنها ستظل مفتقدةً لعنصر الطبيعية والإبداع البشري.

إضافةً إلى ذلك، تثير قضايا الأمان الأخلاقي مخاوف متزايدة؛ إذ يمكن للأنظمة الذكية أن تتعرض للإساءة إذا لم تكن مبرمجة أو مُراقَبة بشكل صحيح، وإذا لم يتم تنظيم هذه التكنولوجيا بشكل جيد، قد يؤدي ذلك إلى مشاكل تتعلق بالخصوصية، السيطرة، والاستقلالية البشرية. وهنا أرى دور كلٍّ من: مبادئ

الله ومعاييره، والقانون والتشريع، والضمير البشري.

فمبادئ الله ومقاصده للإنسان كلها صالحةٌ، وكلها تريد أن تحقق للإنسان الأفضل دائمًا. الله يريد أن جميع البشر يتعايشون في سلام ومجتمع آمن. السيد المسيح في حياته على الأرض قدم فكر الملكوت وصورته وسلوكه، جال يصنع الخير وساعد كثيرين على تغيير حياتهم للأفضل. وقال هذا: "وَأَمَّا أَنَا فَقَدْ أَتَيْتُ لِتَكُونَ لَهُمْ حَيَاةٌ وَلِيَكُونَ لَهُمْ أَفْضَلُ" (إنجيل يوحنا ١٠: ١٠). وما دام هو نموذجنا فسنستخدم كل ما تصل إليه أيادينا من تطورات تكنولوجية في تقديم الأفضل دائمًا لحياة الإنسان.

ثم نأتي للدور البشري وهو القانون والتشريع، ففي هذه المرحلة يجب أن يطلع المشرعون جيدًا على كل آليات الذكاء الاصطناعي وأدواته حتى يتمكنوا من صياغة قوانين تحمي الناس من كل من يفكر أن يسيء استخدامه في إيذاء الآخرين، ويخرجه عن الهدف الأساسي الذي صنع لأجله؛ وهو خير البشرية.

وأمام هذا القانون يجب أن يكون الضمير البشري حيًّا نابضًا، فيأبى أن يعرِّض الآخرين للخطر، أو أن يؤذيهم، وهنا تأتي التنشئة التي تحرص على زرع قيم الخير والمحبة في الأطفال لخلق مجتمع آمن.

وفي هذا السياق يمكن للكنيسة -بل ويجب عليها- أن تكون جزءًا من استكشاف هذا العالم لتطوير خدمتها واستخدام هذه الأداة لمجد الله وعمل الملكوت، وكذلك أن تكون جزءًا من النقاش الأخلاقي حول الذكاء الاصطناعي. من خلال الانخراط في الحوارات حول الأخلاقيات في استخدام التكنولوجيا وتطوير أنظمة ذكاء اصطناعي تحترم الكرامة الإنسانية وتراعي العدالة الاجتماعية، يمكن للكنيسة أن تلعب دورًا رائدًا في تشكيل مستقبل الذكاء الاصطناعي وفقًا للقيم الإنسانية.

أخيرًا، الذكاء الاصطناعي يقدِّم فرصًا هائلة لتحسين حياة البشر، لكنه يطرح أيضًا تحدياتٍ أخلاقيةً ومخاطر يجب مراعاتها. فيجب أن تُستخدَم هذه التكنولوجيا بمسؤولية أخلاقية وإنسانية وحضارية، مع التركيز على تعزيز القيم الإنسانية والخدمة للآخرين.